OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

نور الحسن الأوسی ومخطوطته "نور الواعظین": دراسة تمهیدیة
(*Nūr al-Ḥasan al-Uwaisī* and his Manuscript "*Nūr* al-*Wā'iẓīn*": An Exploratory Study)

Sadia Nasrullah
Assistant Professor, Govt. Associate College, Wapda Town, Lahore

Abstract

Sheikh Nūr al-Ḥasan al-Uwaisī (1268AH-1348AH) was a great religious scholar of the subcontinent and an icon of spiritualism. He was also an expert of *Qur'ānic* sciences. In this area of knowledge he wrote an exegesis titled "*Nūr* al-*Wā'iẓīn*". Unfortunately *Sheikh al-Uwaisī's* achievements particularly his referred work was unknown to scholarly world. "*Nūr* al-*Wā'iẓīn*" was written almost a century ago, but is not yet available in print. It is the need of the time to introduce this great scholar and bring out his magnum opus "*Nūr* al-*Wā'iẓīn*" before the scholarly world. So, the present article centers a brief exploratory study of *Sheikh al-Uwaisī* and his achievements particularly his referred *tafsīr* manuscript. It maintains that "*Nūr* al-*Wā'iẓīn*" consists of various unique characteristics and therefore is a blessing for students and scholars that they must take advantage of.

Keywords: *Nūr al-Ḥasan al-Uwaisī*, *Tafsīr*, "*Nūr* al-*Wā'iẓīn*"

مقدمة

لا شك أن تأخر المسلمين في عصرنا نتيجة نسيانهم لكتاب الله وسنَّة نبيهم صلى الله عليه وسلم. يُهمل المسلمون عن دراسة القرآن، وسيرة نبيهم واتباعه في حياتهم، فنحن في أشدّ الحاجة إلى معرفة كتاب الله و دراسة سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم لكى نجتنب من كل بدعة وضلالة في مسيرة حياتنا. فعلم التفسير من أهم العلوم التي ينبغي لطالب العلم أن يعتنيها، إذ أن شرف العلم بشرف المعلوم ، فهو علم يفهم به كتاب الله عزوجل، وذلك ببيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه. قال ابن عطية:

CC BY

"فلما أردت أن أختار لنفسي وأنظر في علم أُعِدُّ أنواره لظُلَمِ رمسي سبرتها بالتنويع والتقسيم وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها حبالًا وأرسخها جبالًا وأجملها آثارًا وأسطعها أنوارًا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي استقل بالسنة والفرض ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض هو العلم الذي جعل للشرع قوامًا واستعمل سائر المعارف خدامًا،... إلى أن قال: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1]قال المفسرون: أي علم معانيه والعمل بها." [2]فلهذا عنى علماء ملّتنا عناية خاصة بهذا المصدر الأساسي الإسلامي واهتموا به اهتمامًا بالغًا، فكتبت التفاسير للقرآن العظيم، فتعددت الأسباب وتنوعت الأغراض في التفسير. فكانوا من هولاء العلماء الأبراز من صرفوا جهدهم في تفسير القرآن بالقرآن، ومنهم من بذلوا هممهم في تفسير القرآن بالحديث، وكتب بعضهم التفسير من ناحية الأحكام، وبعضهم من حيث كونه دستورًا أساسيًا للإنسان وجميع متعلقاته، سياسية كانت أم عائلية، اجتماعية أو تاريخية، أدبية أو طبية وغيرها. وكان من هولاء دوواين العلم الشيخ نور الحسن التارك الأويسي الذي بذل حياته لأجل الدين المتين، ولإشاعة علومه وآدابه حتى آخر ساعة حياته؛ فألف كتابًا في تفسير القرآن الموضوعي، وسمّاه ب"نورالواعظين". قبل أن نمعن النظر في الكتاب المذكور سنلقي نظرة عابرة على سيرة المؤلف، ومكانته العلمية لكى يتجلّى شخصيته ومركزه العلمي أمام القارئين.

فهو الشيخ نور الحسن بن خواجه بخش بن فتح الدين بن محمد باقر بن مقصود بن محمد اسحاق التارك، وكان من قبيلة تنوار، التي اشتهرت فيما بعد باسم "الطور"[3] ونسبُ أسرته عريق في الشرف والمكانة، يُعرف بالعلم والجاه.ولد الشيخ نور الحسن في السنة 1268 الهجرية،/1849 الميلادية في القرية جيند بور.[4] ونشأ في أحضان أسرة روحية، ورضع بلبان العلم والدين، وكان والده الشيخ خواجه بخش التارك عالماً شهيرًا بالإصلاح والإرشاد في المنطقة. حفظ القرآن الكريم من والده في مدة قصيرة، وتلقى مبادئ اللغة الفارسية وفنّ القراءة من عمّه الشيخ إمام بخش، فلما بلغ العاشرة من عمره، توفي والده، فبعد وفاة والده ارتحل الشيخ نور الحسن إلى لاهور، وتعلّم مبادئ العلوم العربية،

[1] المزمل، 73 :5.

[2] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق- محمد عبد السلام عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1413هـ / 1993م)، 1: 34.

[3] رحمت علي الأويسى، ذكر هادي(بدون طبع، وناشر)، 8.

[4] هذه القرية تقع في مديرية ننكانه على شط النهر الراوي علي بعد 90 كلومتر من عاصمة بنجاب لاهور.

وبعض علوم الشريعة من الحافظ ولي الله [5]، المدرس في المسجد الملكي الشهير، ثم التحق بالمدرسة الرحيمية بنيلا كنبد، عند السوق أنار كلي بلاهور، فتلمّذ على صفوة العلماء، ثمّ استفاد لسلوكه الروحي من الشيخ فضل دين الأويسي، الذي كان خليفة لوالده في الطريقة الأويسية في قرية "بكے محل"[6]،ثمّ سافر إلى الشيخ نبي بخش صاحب السجادة في بلدة خانقاه شريف[7] الذي كان من سلالة خواجه محكم الدين السيراني رحمه الله (أحد من أكابر أولياء السلسلة الأويسية). فأقام الشيخ عنده، واستفاض من علومه الروحية.[8]

عاد الشيخ نور الحسن إلى مسقط رأسه بعد إتمام الدراسة ، وبدأ نشاطه التربوى والتعليمى بالمسجد الجامع في قريته، فاشتغل ليلا ونهارا في إشاعة العلم والمعرفة. وكان يلقى دورس الوعظ للنساء وراء الستار. والناس يفدون لزيارته والاستفاضة منه، فينتفعون بصحبته، ودعائه، وبكلماته الإرشادية، فاجتمع القلوب عليه، فتعلّموا، فتحسنت أخلاقهم، وصلحت أعمالهم. كان الشيخ حلو اللسان، لايسأم السامع ولا يشبع من وعظه وكلامه. وكان يكلّم الناس على قدر عقولهم، وينزلهمم على منازلهم، وينصح لهم حسب مشاغلهم، كما كان يقول للعلماء ان يعملوا وفق علمهم، وللتجار أن لايطغوا في الميزان، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم.

أسس الشيخ المساجد والمدارس في القرى الشتّى. فكان لا يزال يشتغل في الأمور التربوية، والدعوة، والإصلاح. فكان يقول: إن لم يستطع أحد أن يقرء القرآن؛ فليسمع من قارئه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كن عالما، متعلمًا أو سامعًا، ولا تكن رابعًا."[9]

كتب الشيخ ومولّفاته

مع نشاطاته التدريسية توجّه الشيخ نورالحسن إلى التأليف والتصنيف والشعر ليكون نطاق التعليم أوسع؛ فألّف كتبًا عديدة باللغتين، العربية والبنجابية. وفي الناحية الشعرية يعدّ الشيخ من المكثرين، غير أن أكثر شعره فى اللغة البنجابية، استخدمها لإفادة عامة الناس، لأن اللغة البنجابية كانت لغة

[5] الحافظ ولي الله من علماء مدينة لاهور في القرن الثالث عشر للهجرة، وكان أعمى منذ ولادته، ومع هذا كان حافظًا للقران والإنجيل، عين نائبا للخطيب في المسجد الملكي بلاهور ، ثمّ خطيبًا في مسجد الوزيرخان. توفي سنة 1296ه وترك وراءه كتبًا عديدة. انظر:اقبال أحمد فاروقي، تذكرة علماء اهل سنت وجماعت لاهور(لاهور: مكتبة نبوية، 1987م)، ص 160.

[6]. معناه القصر الأبيض، وهي قرية في مديرية فيصل آباد، بنجاب، باكستان.

[7]. بلدة في مديرية بهاول بور، بنجاب، باكستان.

[8] رحمت علي الأويسي، ذكر هادي، 10.

[9] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين(بيروت: دار المعرفة، ب ت)، 1: 9.

التترابط بين سكان منطقة بنجاب. كتب الشيخ كلّها تدلّ على مكانة علمه الرفيعة، وعاطفته الإصلاحية،. بعض كتبه مطبوعة وبعضها غير مطبوعة، وهي موجودة في المكتبة الأويسية جيند بور، وفي بعض المكتبات الأخرى. نذكر في السطور الأتية عن مؤلفاته ومصنفاته بالاختصار:

شرح الكلمات السبعة من وصية خواجه أويس قرني

صنّف هذا الكتاب في اللغة العربية. الشرح يحتوي على الكلمات السبعة الآتية من وصية سيد التابعين أويس القرني رضي الله عنه.

1.طلبتُ الرفعة، فوجدتها في التواضع.

2.طلبتُ الرياسة، فوجدتها في نصيحة الخلق.

3.طلبتُ المروءة، فوجدتها في الصدق.

4.طلبتُ الفخر، فوجدتها في الفقر.

5.طلبتُ النسب، فوجدتها في التقوى.

6.طلبتُ الشرف، فوجدتها في القناعة.

7.طلبتُ الراحة، فوجدتها في الزهد.

لأهميّة هذا الشرح قد قام الأستاذ محمد نصر الله المعينى بترجمته فى اللغة الأردية، وطبع باسم "فيضانِ أويس" من المكتبة الزاوية بلاهور.

إرشاد المؤمنين في شرح قول أحمد بن حنبل

ألّفه في اللغة العربية لابنه الشيخ شير محمد الأويسي. الكتاب يحتوي على المواعظ في شرح قول أحمد بن حنبل:"إنّ الجنة لمشتاق إلى خمس نفر، تالي القرآن، وحافظ اللسان، ومطعم الجيعان، وملبس العريان، ومن صلّى على حبيب الرحمن."[10]

شرح وحدت نامه

يحتوى هذا الكتاب على شرح أبيات للسيد شاه مراد، الشاعر الصوفي الكبير في اللغة البنجابية في القرن الثامن عشر الميلادي. وقد شرح المؤلف شعره في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصوفية. يقول الشارح في آخر شرحه: إبحث في نفسك عن محبوبك، بمطالعة هذا الكتاب، كما قلت فيه، فإن لم تجد محبوبك، فعذّلنى، ولا تعتمد علي بعده أبدًا. كما هو يقول في الأبيات الفارسية.

شرح وحدت نامه را در پيش كن
جستجوے يار را در خويش كن
بعد جُستن گر نيابى يار را

[10] محمد نصر الله المعينى، فيضان أويس،21.

پس ازاں بر من مکن اعتبار را

كليات خواجه نور الحسن

هذه مجموعة شعرية للمؤلف فى اللغة البنجابية، قد طبعت باهتمام الشيخ محمد إسحاق الأويسي حفيد المؤلف في 1956م. تضم 160 صفحة. هذه المجموعة الشعرية مزيّنة ببيان شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، شعره شعر الحبّ، والعاطفة، واحترام الإنسان والإنسانية، وتخلق بأخلاق عالية، والدعوة إلى الله، والتذكير بالموت والتهية لآخرة. وكان الشيخ خبيرًا بالفنون الشعرية، فيجيد الشعرَ، وَيأتي بشعرٍ رقيق حلو، يستهوي النفوس، ويستأسِر القلوبَ، أسلوبه الشعري قوي متين، يمتاز بروعة الجمال اللفظي والمعنوي، كان الواعظون ينشدون شعره فى المجالس الدينية.

نور الواعظين

هو تفسير القرآن العظيم باللغة العربية، سيتم استعراضه ومراجعته في الصفحات التالية:

سماه مؤلفه بتفسير نور الواعظين. ألّفه باللغة العربية، مخطوطه نسخة وحيدة، وهي غير مطبوعة. المخطوط موجود في المكتبة الأويسية جيند بور مديرية ننكانه في منطقة بنجاب، باكستان. يضم هذا المخطوط تسع مائة وثلاثة وعشرين صفحة (923) في مجلد ضخم. نسخه مؤلفه بيده في خط نسخ بمنهج قديم، بالمداد الأسود. المخطوط كله بصورة جيدة، وبخط واضح مقروء. كتب في نهاية المخطوط تاريخ تسويده وهو 1315هـ. يوجد بين السطور المعاني لبعض الكلمات الصعبة. لم يجعل لتفسيره مقدمة، يشرح فيها غاية التي ألّف كتابه لأجلها، وكان لا بد أن يشرح ذلك كما هو طريقة المؤلفين الأسلاف.

التعريف بموضوع المخطوط " نور الواعظين"

موضوع المخطوط يدور حول تفسير القرآن الكريم بالحديث الشريف والسنّة السنيّة وأقوال الأئمة. والقرآن الكريم نور منزل، ونبراس ساطع، وهدي واضح، ودستور عادل، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم. أرشد الله به الناس إلى ما فيه سعادة حياتهم الدنيوية والأخروية.إنّ كتاب الله تعالى هو روح الإسلام، والسنة النبوية بمنزلة جسد، تترقرق فيه هذه الروح. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يمثّل الأخلاق القرآنية في ذروتها وسنامها. فلا ينطق عن الهوى، ولا يعمل بالهوى فكان صلى الله عليه وسلم على نور من ربه ويهدي إلى النور، فتنوير طريق الحياة منوط بمتابعة النبى صلى الله عليه وسلم.فأمر الله المومنين باتباعه، وإطاعته صلى الله عليه وسلم كما قال في الآيات الآتية.

- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [11]
- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [12]

[11] ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ اٰل عمران 3: 31.

[12] اٰل عمران3 : 132.

- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[13]

كان رسول الله صلى الله عله وسلم أول مرجع لفهم القرآن وحل مشاكلها. وكان مفسرًا لكتاب الله تعالى بقوله وسنته، إذ كان عليه البيان و التبيين،كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [14]

كان الصحابة رضوان الله عليهم يستفهمونه كلما يتلى عليهم القرآن، وكانوا لا يتجاوزون حتى يستعملوا ما فيه من الأحكام، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.[15]وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرِؤننا: أنهم كانوا يستقرِؤن من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا.[16]

إنّ دراسة القرآن خلال الحديث النبوى والسنة أمر له أهمية لكل مسلم. فهي تحقّق عدة أهداف، من أهمها هو فهم القرآن بمعرفة هدي النبيّ صلى الله عليه وسلم وسنته. لقد أمر الله المسلمين بأخذ ما آتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وترك ما نهاهم عنه كما قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [17] لقد حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تبليغ آيات القرآن، وقوله وسنته، فقال:"بلّغوا عنى ولو كان آية." [18] وقال صلى الله عليه وسلم: " نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ بَلَّغَهَا عَنِّي. رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غير فِقْيهٍ. وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى من هو أَفْقَهُ منه."[(19)] فبدأ الاهتمام بالقرآن وتفسيره، منذ عهد مبكر في التاريخ الإسلامي. فقام الصحابة والعلماء من التابعين، يعلّمون القرآن، ويفسّرونه للناس، واستمرت حركة التفسير من قرن إلى قرن، ومن جيل إلى جيل، واعتنوا من أكابر علماء المسلمين بالقرآن عناية كاملة، فأقبلوا عليه حافظين ومتدبّرين، فيستنبطون منه أحكامه ويستخرجون حقائقه.

---

[13] النور 24: 54.

[14] النحل 16 : 44.

[15] ابن بطال، شرح صحيح البخاري(الرياض: مكتبة الرشد، 1423ه)، 2: 300.

[16] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران (بيروت: دار الفكر،1405ه)،1: 80.

[17] الحشر59 : 7

[18] ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق- شعيب الأرنؤط (بيروت: مؤسسة الرسالة، بدون التاريخ) 4: 149.

[19] ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله، القزويني، سنن ابن ماجه ، تحقيق- محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر).1: 86، رقم الحديث:236.

منهج المؤلف في التفسير

تعددت مناهج التفسير، ولِكُلِّ مَنْهج مزاياها خاصة. أهم هذه المناهج هو منهج التفسير بالحديث والسنة، الذى يجمع بين الآيات وَالأحاديث. وهذا المنهج له فضيلة وأهمية خاصة، لأن القرآن مصدر أول للإسلام، والسنة والحديث مصدر ثانى للتشريع الاسلامى، فإلتزام بالسنة إلتزام بالقرآن، والسنة مفسرة وميينة للقران، وانها تربط بالقرآن ارتباطًا وثيقًا، وإنه لا يستغنى عنها في تفسير القرآن.جاءت في القرآن بعض الأوامر مجملة، لم تفصل في كيفياتها وشروطها، والسنة قد بينت ذلك الإجمال. كما ذكر الإمام السيوطي شروطًا لمن أراد التفسير: " قال العلماء من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه. وقد ألف ابن الجوزي كتابا فيما أجمل في القرآن في موضع وفسّر في موضع آخر منه، وأشرت إلى أمثلة منه في نوع المجمل، فإن أعياه ذلك طلبه من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له. وقد قال الشافعي رضي الله عنه :كل ما حكم به رسول الله فهو مما فهمه من القرآن. قال تعالى﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾.[20] وقال عليه الصلاة والسلام : " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ."[21] يعني السنة. فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح وقد قال الحاكم في المستدرك إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع."[22] فسلك مؤلف تفسير نور الواعظين على هذا المنهج في تفيسر كثيرٍ من الموضوعات.

وانَّ لِكلّ من يتصدّى لتفيسر القرآن منهجاً، يقوم عليه، يتمّ ذلك من خلال وسائل يعتمد عليها، والذي يحدّد هذه الوسائل هو شخصيّة المفسّر، وثقافته، واتّجاهه الفكري، وهدفه الذي يقصد به، وملاحظة هذه الوسائل، وتحديدها يساعدُ عَلى التعرف على منهج المفسّر. مؤلف تفسير نور الواعظين قد توفّر على ثقافة عميقة في العلوم الإسلامية. وكان من العلماء الربانيين الذين يَهْتمّون الأمور العبادية والعبودية. فاحتاج الشيخ إلى التاليف الذي يجمع بين العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، فيظهر من تسمية المخطوط بتفسير نور الواعظين أنّ الباعث على التأليف هو الحرص على خدمة الدين وَالتزويد الوافر بعلم التفسير، والحديث، للواعظين، والمعلمين، والمربيين.

[20] النساء 4: 105ـ

[21] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق- شعيب الأرنؤوط وآخرون(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420ه/ 1999م)، رقم الحديث: 17174.

[22] جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن(مصر: المكتبه التجارية الكبرى، ب ت)، 2: 467.

هـذا التـاليف يعـدّ مـن مسـاعيه الحميـدة الجليلـة.فأمّا المـنهج الـذي سـلكه المؤلـف في تفسـير نـور الواعظين، فهو المنهج الموضوعي.

أسلوبه في التفسير

1.يبدأ باختيار الموضوع والتبويب، فيذكر ما جاء عنه في القرآن الكريم، فيأتي بالآيات الكريمة التي تتعلق بموضوع الباب، ويعَقّبها بذكر الأحاديث النبوية التي تُفَسّر الآيات المختارة، ثمّ يذكر الآثار، اَوْ أقوال الأئمة من الفقهاء، والصوفية.

2.بعض الأحيان يأتي المؤلف بالآيات فقط تحت الموضوع، ولايذكر بالأحاديث، أو الآثار وآراء العلماء. وهذا المنهج، تفسير القرآن بالقرآن، يعدّ من أهمّ الخطوات المنهجيّة لِلتفسير، لأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، ولأنَّه محفوظ، ثابت،لا يحتاج إلى تخريج ولاتصحيح. وَالقرآن يعرض الموضوع الواحد في عدة سُوَر من نواحي مختلفة، ويكمل الوحدة الموضوعية للقرآن كله، فلهذا التزم مؤلف تفسير نور الواعظين بهذا المنهج في عدّة أبواب، فمثلاً في باب تخليق آدم عليه السلام يستشهد بالآيات القرآنية فقط، فلا يذكر أي حديث. فيذكر القصة بالآيات بتفاصيلها وجزئيّاتها.[23]

3.في بعض الأبواب يأتي المؤلف بالآيات التي تتعلق بالموضوع، فيستنبطُ منها الأحكام الشرعية في ضوء الأحاديث الصحيحة، فمثلاً في الأبواب التي تتعلق بالعبادات والأعمال الصالحة، فيأتي بالآيات أولاً ثمَّ يأتي بالأحاديث النبوية على ترتيب يوضّح به فرضيتها وفضائلها وجزائها والوعيد على تركها. ولا يذكر أقوال الأئمة والفقهاء كما في أبواب الطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج.[24]

4.يذكر المؤلف، بعض آراء المفسرين والمحدثين والفقهاء ثم يذكر القول المفتى به على مذهب إمام أبي حنيفة، ويدافع عن أهل السنة والجماعة. كما يقول: " جوز أحمد أن يصوم الولي عن الميت ما كان عليه من الصوم من قضاء رمضان، أو نذر، أو كفارة بهذا الحديث، ولم يجوزه مالك، والشافعي، وأبو حنيفة ا، بل يطعم عنه وليه لكل يوم صاعامن شعير أونصف صاع من بر عند أبى حنيفة وكذالكل صلوة"[25]

5.ينتقد عقائد الطوائف الباطلة و يرفض أفكارهم كما في تفسير الآية الكريمة : إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا يذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمّن قال: لا إله إلا الله، ولا تكفره بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل " ثمّ يعلّق عليه بقوله: "هذا الحديث ردّ للخوارج الذين

[23]نور الحسن التارك، نور الواعظين(المخطوط)،26

[24]نور الحسن التارك، نور الواعظين، 104، 157، 182، 195، 202.

[25]نور الحسن التارك، نور الواعظين،462

يكفّرون أهل الإسلام بالذنوب، ولو كان صغيرة. وقوله :" ولا تخرجه من الإسلام بعمل " ردّ للمعتزلة الذين يخرجون صاحب الكبيرة."[26]

6.يستنبط المؤلف مِن الأيات والأحاديث النكات الروحية، ويذكر أعمال الصوفية والصالحين، وإصطلاحات التصوف، ويشرح لها، ويمثّل بالحكايات.

7.في بعض الأماكن من المخطوطة، تم التعليق على النص في الحاشية بلغات مختلطة العربية... والفارسية، والأردية... ويوجد توقيع المؤلف في نهاية تعليقه كما علق في الهامش على شرح ذكر الله، فكتب: "والذكر جهرًا وخفيةً جائزٌ، لا يمنع منه إلا الخاطئون، ولا ترجيح لواحد منهما بل لكلّ واحدٍ وجه وجِهَةٌ." بذانكه در ذكر جهر فوائد اند،چنانچه اكثر مشائخ اين قول را در مدح ذكر جهر برائ قول ممدوح ميكند، كه في الذكر عشر فوائد: صفاء القلب، ولذة الروح، وصحة البدن، واظهار الدين، وتنبيه الغافلين، ورافع الوثنان، ودافع الشيطان، وجاعل الشهداء، وتزيد الشوق، وقاطع الحزن. ذكر جهر بمنزلة ست، وذكر خفى بمنزلة سوزن استَ. (فقير نور حسن تارك)" [27]

ميزات تفسير نور الواعظين: المخطوط نور الواعظين مخطوط عربي ، نادر، قيّم، فهو خير شاهد على ما ساهم به علماء هذه البلاد في إشاعة القرآن والحديث، وفي إثراء الأدب العربي وازدهاره، وله مكانة مهمة بين كتب التفسير حسب مزاياه الأتية:

- ليس هذا تفسيرًا كاملًا للقرآن العظيم، بل اهتم المؤلف بالأيات التي تلائم بالموضوعات التي يحتاج إليه الواعظون، ثم فسّرها بالأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين.
- أورد المؤلف بجانب الأحاديث النبوية بعض آراء المفسرين والمحدثين والفقهاء والأئمة، وذكرالقول المفتى به على مذهب أبي حنيفة، وحرص أن ينصر مذهب أهل السنة، ويدافع عنه.
- المخطوط يحتوي على الموضوعات المهمّة، كالعقائد والعبادات والأعمال الصالحة وآدابها والفضائل والشمائل ومعجزات النبى صلى الله عليه وسلم، والكرامات وعلامات القيامة، والحساب يوم الحشر، وأحوال الجنة والنار وغيرها.
- اهتم المؤلف على أن يكون جلّ اعتماده على الأحاديث النبوية من الصحاح الستة، مع هذا قد استفاد من كتب الأحاديث الأخرى.
- التقط المؤلف الفوائد الغزيرة النادرة، من بعض كتب التفسير، وشروح الحديث، وكتب التصوف وغيرها.

[26] نور الحسن التارك، نور الواعظين، 326.

[27] نور الحسن التارك، نور الواعظين، 269.

- اختار المصنف أسلوبًا سهلًا وعبارات ميسرة، ليسهل فهمه على طلاب العلم والواعظين وعامة المسلمين.
- أورد الكاتب بين السطور بعض تحقيقات لغوية.
- نقل الشيخ بعض تحقيقات علماء شبه القارة، من كتبهم بالفارسية.
- ذكر المؤلف عدة احتمالات في معنى بعض الآيات الكريمة، كما في باب الذكر معنى الآية: "فاذكروني أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون." فجاء المؤلف بأربعين احتمالات بكلمة قيل، وهذا يجعل القارئ في حيرة وإعجاب.[28]
- إذ لم يعرف أكثر الناس في بيئته اللغة العربية، فمن الظاهر أنه كتب التفسير للواعظين والداعين، لتيسّر لهم المواد النافع في كتاب واحد لنشاطاتهم الإصلاحية؛ فيُعدّ هذا دستور الدعوة والإرشاد.

مصادر المؤلف

وأما مصادر المؤلف لهذا المخطوط فاستفاد من مصادر التفسير والحديث، والفقه، والتصوف وغيرها مثل: التفسير الكبير للرازي، والكشاف للزمخشري، تفسير النسفي، والجلالين، وتفسير سورة يوسف (بحر المحبة) للغزالي، روح البيان للحقي، الصحاح الستة، وإحياء علوم الدين وغيرها۔

مكانة نور الواعظين في الأدب التفسيري في شبه القارة

أمّا مكانة نور الواعظين في الأدب التفسيري في شبه القارة فنعلم أن الشبه القارة الهندية ظلت تنعم بالحكم الإسلامي طيلة ثمانية قرون، فصارت خلالها محط أنظار العلماء ومركزا للعلوم. ولم يخل عصر من التاريخ الإسلامي الطويل في الهند من العلماء الذين نشروا العلوم الإسلامية عملًا وتدريسًا، فكانت النهضة العظيمة أثرت على باقي البلاد الإسلامية؛ فافتدى بها باقي البلاد في طبع كتب التفسير والحديث.أهم المؤلفين الهنديين الذين ساهموا في حركة الحضارة العربية، ولهم تفاسير باللغة العربية، منهم نظام الدين حسن بن محمد بن حسين الشافعي، وهو أوّل من فسّر القرآن باللغة العربية في الهند، وكتابه "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ، وكثير من المؤلفين مثلًا أبوبكر إسحاق بن تاج الدين الحنفي، ومحمد بن أحمد الكجراتي، وعلاء الدين أحمد المهائمي وكتابه "تيسير المنان في تفسير القران" وأيضا القاضي شهاب الدين دولت آبادي الذي لقّبه سلطان جونبور ب"ملك العلماء وغيرهم كثير من العلماء.

ولا شك أن الثورة الهندية سنة 1857م قد أثرت حياة المسلمين الثقافية والعلمية إلى أقصى حد. قضى حكم الإنجليز الاستعماري على النظام الإسلامي للتعليم والتربية، ونفذ نظامًا جديدًا للتعليم، ومن الطبيعي أنهم كانوا يقدمون مصلحتهم فيه أولًا، فقتل كثير من العلماء، ونفي عدد كبير إلى جزائر

[28] نور الحسن التارك، نور الواعظين، 253، 254۔

اندمان. والسيطرة الانجليزية كانت لاتزال تحاول بمؤامرات مختلفة ضد المسلمين. فبذروا بين مسلمي الهند الافتراق والتشيتت، وسدّوا عليهم أبواب الرقي، وأضعفوا هممهم في مجال علم الدين وهذه الحالة القاسية استمرّت طيلة سنوات حتى بلغ جهلهم عن دينهم في بعض المناطق الريفيّة إلى حدّ ما ذكر عنه الشيخ الشاه محمد سليمان التونسوي رحمه الله (ت 1267ه).فقال عمّا واجه في سفره من ملتان إلى أجمير: "بلغت قرية في منطقة "ماروار" [29] وأردت أن أبيت فيها. فسئلت عن دين سكانها. فقيل لى أن سكان هذه القرية كلهم من الهنادكة، إلا أسرة واحدة من المسلمين. فإذا لقيتهم وجدتهم في زي الهنادكة، وما وجدت فيهم علامة الإسلام، وإذا سئلت عنهم، قالوا: دليل إسلامنا موجود في الغرفة، فأسرعوا إليه، فجاءوا بالإبريق القديم، الذى كان آباءهم يستعملونه للوضوء، فقالوا هذا دليل إسلامنا." [30] هذه كانت حالة جهالتهم عن دينهم. ولا شك أن هذه الجهالة قد استولت على أكثر مناطق الهند، خصوصًا المناطق الريفية. فسكانها لا يعلمون ولا يفهمون الإسلام وتعاليمه فهمًا صحيحاً. وفي جانب آخر ظهرت فتنة مرزا غلام أحمد القادياني المتنبي الكذّاب (ت 1318ه) وهذه الفتنة أضلت عددًا كبيرًا من سذاج المسلمين وعامتهم.

فمُسْلمو الهند كانوا في حاجة ماسة إلى العلماء، ليعلّموهم دينهم الصحيح الخالص، ويدعوهم إلى إطاعة الله وإطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وينشئوهم على الآداب البارعة والأخلاق العالية، ويهدونهم إلى الفوز والنجاح . فقام كثير من العلماء المسلمين الذين بذلوا جهودهم لإحياء هيئاتهم العلمية، ويقظة الوعي الإسلامي. فأوقظوا المسلمين من نومهم وعدم فعاليتهم. وقاموا ضدّ الجهالة والاستعمار البريطانى، والبدعات والرسوم، التى شاعت بين المسلمين من الهنادكة.فساهم الشيخ نور الحسن التارك في هذه الحركة الإصلاحية من طريق تدريس العلوم الدينية والدعوة والإرشاد. وقصد من تدريسه وتاليفاته إشاعة الإسلام، ونصيحة المسلمين الغافلين.ولاشك تفسير نور الواعظين اضافة جميلة قيّمة في أدب التفسير في شبه القارة.

ملخص القول

من الحقيقة أن الشيخ نورالحسن عليه الرحمه كان رجلًا صالحًا، زاهدًا متصوفًا، صموتًا عن فضول الكلام، مقدمًا في المعارف، فقيهًا محدثًا، ومتضلعًا في العلوم العقلية والنقلية بالعربية والفارسية، وبذل الشيخ نور الحسن عليه الرحمة أقصى جهوده لإعلاء كلمة الحق من الجهات المتعددة، حتى ارتحاله من دارالفناء إلى دار البقاء.فهذه السعة الواسعة، هي نتيجة خلوصه الكامل في الدين لله ماقبل قرن، وإحياء عمله العلمي بعد زمن طويل في الحقيقة، هذا، هو أحسن الجزاء الذي وعده الله

[29] هي منطقة تقع في جنوب غرب ولاية راجاستان في شمال غرب الهند.

[30] ميان محمد درزي، راحت العاشقين(أتك: دار الإشاعة النظامية، 2007 م)، 1: 122.

من عباده، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.﴾[31] وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.﴾[(32)] وأيضًا قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ.﴾[(33)] فلايناسب لنا، أن ننسى مساعيه المشكورة، بل واجب علينا أن نقدم عمله العلمي إلى منصة الشهود لإظهار شخصية هذا الرجل العبقري، وعمله العلمي.

وأما مخطوطه " نور الواعظين " فهو تفسير للقرآن العظيم، والقرآن الكريم منار للهُدى وفيه مصابيح الدُّجى، والمستنير به يمشي في الظلمات بنوره، التفكر والتدبر فيه مندوبٌ. وما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله، أفضل من العلم بكتاب الله والمعرفة بتاويله. وقال الإمام السيوطي: أجمع العلماء أن دراسة التفسير من فروض الكفاية وأنه من أجلأ العلوم الشرعية.[34] ، فكتبت كثير من الكتب في علوم التفسيرولكل منها مكانة رفيعة أما الكتاب "نور الواعظين" فهو نادر، حافل بالفوائد العلمية، متزود بالثروات الفنية واللغوية، مملوء بنكات أنيقة. وهو يتمثل المتقاضياة الأساسية للحياة الإنسانية من حيث العقائد الإيمانية، والأحكام الإسلامية، والأخلاق العالية، والصفات الروحانية. فقد اهتم الشيخ عليه الرحمة في مخطوطه اهتمامًا بالغًا بتلك الأحكام والصفات في ضوء الأحاديث النبوية الصحيحة، ليستفيد به المسلمون، ويجدون فيه الإجابة الوافية عن تساؤلاتهم الواردة في أذهانهم، وذلك هو الفوز العظيم، فليعمل العاملون. ولا ريب أن هذا الكتاب من أهم الكتب على تفسير القرآن العظيم في شبه القارة من حيث المنهج، والأسلوب، والمواد العلمي ، وله ميزة خاصة من جهة تنوع الموضوعات التي تناول أكثر زوايا الحياة الدينية والدنيوية؛ فلذا جديرٌبالتقدير والإعجاب، والمكانة المرموقة بين الكتب الأخرى على هذا الموضوع في باكستان.

---

[31] النحل 16 :97۔

[32] البقرة2 :152۔

[33] الرحمان55 :6۔

[34] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن،4: 173.